Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويليام بتلر ييتس

المسرحية السادسة

أرض يتوق إليها الفؤاد

مسرحية ذات فصل واحد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العنوان الأصلي للمسرحية:

William Butter Yeats

La terre du Désir du cœur

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما ييتس . . . فواحد من الرجال النادرين الذين يختلط تاريخهم الشخصي بتاريخ زمانهم، ويندمج إحساسهم بإحساس عصرهم، حتى لا يسعنا فهم ذلك العصر من دونهم.

إيليوت

لِمَ يخفق قلبك بكل تلك الشدة؟
كيف لا
وقد وقع بصري في منزل أحد الناس
على تمثال العزلة
وهو يمشي بخطى حزينة

ويليام بتلر ييتس

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويليام بتلر ييتس (١٨٦٥-١٩٣٩):

كاتب ارلندي. ولد في دبلن وأمضى طفولته في لندن. استهواه تاريخ إرلندا وفولكلورها وشعرها. فأسس اتحاداً للشعراء دعاه «رايمرز كلوب». كما استهواه كل من التيوصوفية (وهي نظرية إشراقية دينية موضوعها الاتحاد بالخالق)، والإخفائية (وهي الإيمان بالقوى الخفية وإمكان إخضاعها للسيطرة البشرية). وما إن عاد إلى إرلندا عام ١٨٩٦ حتى أسس المسرح الأدبي الإرلندي، بالتعاون مع الليدي غريغوري.

كتب ييتس في حياته مسرحيات عديدة وقام بإخراج أخرى. أما المسرح الذي أسسه، والذي انضمّ إليه جورج برناردشو فيما بعد، فقد ساهم في إنشاء مسرح وطني إرلندي.

في عام ١٩٢٣ فاز ييتس بجائزة نوبل للآداب.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عاشت الأميرة إيدن تارة بين الناس ، وبين السايدز أو الخالدين تارة أخرى. فقد اختطفها إله الحب أنغوس ثم عادت إلى الأرض. فقام زوجها السابق، الملك ميدهير، باصطحابها مجدداً إلى عالم السايدز.

وتتجلى خاتمة هذه الأسطورة في «أرض يتوق إليها الفؤاد».

مادلين جيبير

الشخصيات:

مورتين بروين – شون بروين
بريجت بروين – ماري بروين
الأب هارت – جنيّة صغيرة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يجري المشهد الأول ضمن ملكية البارون كيلماكوفن، التابعة للكونت سيلغو، في زمن متأخر جداً.

أمامنا قاعة على يمينها مخدع عميق. يشاهد موقد في وسط المخدع ثم مقاعد ومائدة وصليب معلق على الجدار. لهيب النار يضيء المخدع. وعلى اليسار، يواجه الجمهور باب مفتوح. ثم مقعد على اليسار أيضاً. يمكن أن نلمح الغابة عبر الباب المفتوح. الجو معتم. غير أن القمر، أو بقية من أشعة الشمس الغاربة تلتمع عبر الأشجار فينفذ النظر بعيداً إلى عالم غامض ومجهول. يجلس مورتين بروين، وشون بروين وبريجت بروين في المخدع حول المائدة أو قرب النار. ويرتدون ملابس أحد العصور المتأخرة. ويجلس على مقربة منهم، كاهن مسن، هو الأب هارت، بلباس راهب. تشاهد على المائدة بعض ألوان الطعام والشراب. تقف ماري قرب الباب وهي تقرأ في كتاب، ويسعها حين ترفع نظرها أن تشاهد الغابة عبر الباب المفتوح.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بريجت: طلبت إليها أن تنظّف القصعات للعشاء، وها هي تنزل ذلك الكتاب العتيق، من تحت القش، لتظل منكبّة عليه منذ تلك الساعة. لو كان عليها أن تعمل مثل الأخريات، أيها الأب هارت، لأصمّت آذاننا بتأوّهاتها وشكواها. أو أن تنهض مثلي عند الفجر ترقّع الثياب وتجلي الأواني، بل أن تمضي مثلك على متن فرس في قلب العاصفة وسط الظلام، متأبّطاً حُقّة القربان المقدس.

شون: أماه، أنت ساخطة بشكل فائق الشدة.

مورتين (يقول للأب هارت): من الطبيعي أن يقف الشباب إلى جانب الشباب. فهي تدخل في خصام مع زوجتيَ من وقت لآخر. أما الآن فتلك هي مأخوذة تماماً بذلك الكتاب العتيق! لكن لا تكوني شديدة القسوة عليها. استنظريها عشرة شهور فقط بعد الزواج، تَرَيْ أنها أكثر سكينة من فطر في حضن شجرة.

الأب هــارت: يظل قلبهن بريّاً مثل قلب الطيور حتى يوم مجيء الأطفال.

بريجيت: ليست بها من رغبة إلا في مراقبة القدر على النار أو حلب البقرة أو حتى في بسط الغطاء وترتيب الأدوات فوق المائدة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بريجت : زوجتك هي السبب . وأنت تخشى معارضتها فتقف في صفها .

شون : أماه ، لو أنّك فقط . . .

مورتين : يا شون ، هذا الإبريق نصفه فارغ . هيّا ائتنا بقارورتنا الفضلى .

الأب هارت : لم أرها تقرأ البتة . فما حقيقة هذا الكتاب؟

مورتين (يقول لشون) **:** لكن ماذا تنتظر؟ حاذر أن تهزّها وأنت تنتزع السدادة ، فهذا نبيذ ثمين . لا تستعجل (يخرج شون . يقول للكاهن) أقبل مركب إسباني ليغرق عند رأس أو كريس ، من أيام شبابي ، ولا يزال لديّ منه بضع قوارير . إنّه لا يقوى على احتمال أحد وهو يوجّه اللوم لزوجته . فذلك الكتاب لبث تحت القش خمسين عاماً . وجدّي ، حسب قول والدي ، هو الذي كتبه . بل إنه ذبح عجلة ليستخدم جلدها في تجليده . غير أنّ العشاء صار جاهزاً فيسعنا أن نتبادل الحديث ونأكل في آن معاً . وهو لم يجن كبير نفع من هذا الكتاب الذي لم يؤدّ إلاّ لملء بيته بالمتشردين وعازفي الكمان ومنشدي الموشّحات وأناس على تلك الشاكلة . تفضّل فالفطيرة الساخنة هنا أمامك . يا صغيرتي ، ماذا تجدين في هذا الكتاب من الروائع حتى تدعين الخبز يتبرّد؟ لو انهمكنا أنا ووالدي في قراءة الكتب أو كتابتها ، ما توفّرت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ذخيرة ملأى بالجنيهات الذهبية لشون ولك من بعد موتي.

الأب هارت: ليس لكِ أن تملئي رأسك بأحلام جنونيّة. قولي ماذا تقرئين؟

ماري: أقرأ عن أميرة اسمها إيدن، وهي ابنة أحد ملوك ارلندا، وكيف سمعت صوت غناء في أمسية من أماسي شهر أيار، مثل أمسيتنا هذه. فتبعت الصوت وهي بين اليقظة والمنام، إلى أن بلغت بلاد الجان - حيث لا يصير أحد عجوزاً أو ورعاً أو مهيباً. هناك حيث لا يصير أحد عجوزاً أو ماكراً أو حكيماً. هناك حيث لا يصير أحد عجوزاً، أو عنيف الكلام. وهي ما تزال هناك لا شاغل لها سوى الرقص في أعماق غابة ظليلة، يرطّبها الندى، أو فوق قمة جبل مكلّل بالنجوم.

مورتين: أقنع الصغيرة بأن تضع ذلك الكتاب جانباً. فتلك هي نفس الحكايات التي كان يقصّها جدي. وهو الذي كان لا يجيد التمييز بين كلب وحصان، وينخدع بسهولة على يد أيّ شخص تافه. قل رأيك في ذلك ليس إلاّ.

الأب هارت: دعي عنك هذا يا ابنتي. فالله بسط السماوات فوقنا مثل أجنحة عظيمة، ومنحنا حلقة ضيّقة من الحركات والأيام. غير أنّ الملائكة الأشرار يأتون من بعد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لينصبوا الفخاخ ويزيّنوها بآمال واهية وأحلام ثقيلة، إلى أن يمتلئ القلب بالخيلاء فيبتعد عن السلام الإلهي وهو من الرعدة والفرح بين بين. فلقد تولّى أحد الملائكة الأشرار أغراء قلب إيدن بكلمات معسولة. وأنا، يا صغيرتي، شاهدت فتيات أخريات في حال من الضيق وقد استبدّ بهنّ القلق. غير أن السنين مرّت، فصرن مثل جاراتهن، يسعدهن الاهتمام بالأطفال والعمل في مخض اللبن والتخطيط للزيجات والممازحة في السهرات. وما الحياة إلا توهّج أحلام عنيف في البداية، يتلوه نور كامد منسوج من ساعات كامدة، إلى أن تحين الشيخوخة فتأتي مجدّداً بتوهّج عنيف.

مورتين: ذاك صحيح. بيد أنّها أصغر من أن تعرف أنّ ذاك صحيح.

بريجت: إنها كبيرة بما يكفي لتعرف أنّ من السوء أن ينحطّ المرء في البطالة.

مورتين: ليس لديّ ما ألومها عليه كثيراً. فهي تبدو حزينة حين يكون ولدي في الحقل. قد يكون ذلك هو السبب، ولتتحاشى أيضاً حدّة لسان هذه المرأة الطيبة، فتأوي إلى أحلامها، مثل الأطفال الذين يخشون الظلمة تحت أغطية أسرّتهم.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بريجت: لو لزمتُ الصمت لما قامت بشيء قط.

مورتين: وقد يكون طبيعياً أن يحلم المرء بالجان عندما يأتي المساء في شهر أيار. لكن أخبريني، يا صغيرتي، ألديك غصن المرّان البريّ الذي تعلّقه النساء فوق أبوابهنّ لتتولّى الجنيّات حماية المنزل؟ تذكّري أنّ بوسعهن اختطاف المتزوجات حديثاً، بعد ساعة الأصيل في الأماسي من أيار، وإلاّ فكلّ ما تهرف به العجائز قرب النار ليس إلا لُمامة من الأكاذيب.

الأب هارت: قد تكون حقيقة. فنحن لا نعرف مدى القدرات التي وهبها الله لتلك الأرواح الشريرة، من أجل غاية نجهلها. (يقول لماري) أنت على حق ولا بأس في الحفاظ على عادات قديمة وبريئة.

أخذت ماري بروين غصن مرّان بري وعلّقته على مسمار مثبت في ركيزة الباب. فخرجت من الغابة بنت صغيرة بملابس غريبة، ربما خضراء كثياب الجنيات، وأخذت الغصن.

ماري: ما كدت أعلّقه على مسمار حتى ظهرت طفلة كأنّها محمولة على جناح الريح فحملت الغصن بيدها لتمسّده بلطف.

الأب هارت: بنت من عساها تكون تلك الطفلة؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مورتين : ليست بنت أحد، بل ماري تتخيّل غالباً أنّ أحداً ما يمرّ بجانبها. والأمر لا يعدو هبّة ريح. وها هو وجهها شاحب شحوب ماء البحيرة قبل أن يطلع النهار.

ماري : لقد أخذوا المران البري. ولن يكون ذلك فأل خير على المنزل. لكن يبقى من دواعي سروري أني كنت لطيفة حيالهم. أو ليسوا أبناء الله أيضاً؟

الأب هارت : يا صغيرتي، إنّهم أبناء إبليس، وسلطتهم سوف تدوم حتى غاية الزمان. وعندها يشن الله عليهم حرباً منظمة ويقطّعهم إرباً إرباً.

ماري : قد يبتسم، يا أبتِ، فيفتح بابه على أقصى مداه.

الأب هـارت : لو وقع فقط نظر أولئك الملائكة المتمرّدين على ذلك الباب، لسقطوا مصعوقين بفعل السلام الأبدي. وحين يقرع أمثال أولئك الملائكة أبوابنا، يمضي الذين يتبعونهم إلى ملاقاة العواصف ذاتها.

يظهر ذراع هزيل وعجوز لدى الباب فيقرع ويومئ. وهو يشاهد بوضوح وسط الضياء الفضي. فتتوجّه ماري بروين صوب الباب وتظلّ هناك لحظة، ساكنة. أمّا مورتين بروين فمنشغل بملء طبق الأب هارت بالطعام. وبريجت بروين توقد النار.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ماري (تعدو صوب المائدة): في الخارج واحدة ما، أو مأت إليّ. رفعت يدها كأنّها تمسك بكوب وتريد أن تشرب. ذلك أنّها قد تكون عطشى.

(تأخذ شيئاً من اللبن عن المائدة وتمضي نحو الباب)

الأب هارت: قد تكون تلك الطفلة التي لم تصدّقوا أنّها هناك قبل قليل.

بريجت: وربما، يا أبت، إنّ ما قاله صحيح. فليس في السنة من مساء بمثل هذا الشؤم.

مورتين: ليس لشيء أن يصيبنا بضُرّ ما دام الكاهن الصالح تحت سقفنا.

ماري: ما أشدّ غرابتها من عجوز صغيرة الجسم، لباسها كله بلون أخضر . . .

بريجت: تطلب الجنيات لبناً وناراً مع حلول شهر أيار. والويل للمنزل الذي يلبّي طلبهن، لأنّه يقع تحت سلطانهن حتى نهاية السنة.

مورتين: صمتاً، يا امرأة، صمتاً.

بريجت: لقد أعطت اللبن. كنت أعلم حقّ العلم أنّها ستجرّ الويل على المنزل.

مورتين: من هي؟

ماري: كل ما فيها غريب، كلامها ووجهها.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مورتين: أقبل غرباء في الأسبوع الفائت على كلوفرهيل. لا بد أن تكون منهم.

بريجت: أنا خائفة.

الأب هارت: ما دام الصليب معلّقاً هنا فسوف يبعد كل شرّ عن المنزل.

مورتين: تعالي، يا صغيرتي، فاجلسي هنا بقربي، وأبعدي عنك أحلام الاستياء تلك. فبودّي أن تضيئي أيامي الأخيرة مثل البارقة الصالحة المنبعثة من فحم التورب. وبعد أن أموت تضحين أغنى امرأة في المنطقة. فلديّ دخيرة ملأى بالجنيهات الصفراء، مخبّأة حيث لا يسع أحداً العثور عليها.

بريجت: أنت تنخدع بكل الوجوه المليحة. فعليَّ أنا أن أوفّر وأضيّق على نفسي، من أجل أن تحظى زوجة ابني بكافة الأشكال من أشرطة الزينة لشعرها.

مورتين: لا تكوني ساخطة. فهي فتاة طيّبة! تناول الزبدة بقربك؛ ، أيها الأب هارت. يا صغيرتي، ألم يسعفنا كل من القدر والزمان وحسن الطالع، أنا وهذه العجوز بريجت؟ فنحن نملك مئة فدان من الأراضي الخصبة. وها نحن جالسان جنباً إلى جنب أمام النار. هذا الكاهن المحترم صديقي. وأنا أرى وجهك ووجه ابني

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- فقد وضعنا طبقه بالقرب من طبقك - وها هو قادم إلينا يحمل الشيء الوحيد الذي نحتاجه: النبيذ الفاخر وبكثرة. (يدخل شون) حرّك النار وضع شيئاً من فحم التورب الجديد حتى يتوقّد. فالنظر إلى دخان التورب وهو يتصاعد من النار والإحساس بالقلب مفعماً راحة وحكمة، لهما أفضل ما في الحياة. فحين يكون المرء فتياً يطمح إلى السير على درب لم تطأه من قبله قدمان. ثم ما يلبث أن يعثر على الدرب القديم الذي يمر عبر الحب ورعاية الأطفال، حتى تحين الساعة التي ينبغي أن نقول فيها وداعاً للقدر والزمان والطالع الحسن.

تأخذ ماري كتلة من فحم التورب من قلب النار وتمضي خارجاً. يخرج شون ليلحق بها فيلقاها راجعة.

شون: ما الذي دعاك للذهاب وسط نداوة الغابة؟ فجذوع الأشجار ينساب بينها شبه ضياء يسبّب رعدة في الأوصال.

ماري: ذلك أن عجوزاً قصير القامة غريب الشكل أومأ إليّ يريد ناراً ليشعل غليونه.

بريجت: ها أنت أعطيت لبناً وناراً في هذا المساء الأكثر شؤماً في السنة، فتسبّبت بالويل لهذا المنزل دون ريب. فقبل الزواج كنت عاطلةوعلى استعداد للتجوّل بأشرطة تزيّن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

شعرك. أما اليوم - كلا، يا أبت، سأمضي بفكرتي حتى منتهاها - فغدوت امرأة لا يسعها أن تلائم أي زوج.

شون: على رسلك، يا أمي.

مورتين: بلغ بك السخط مبلغاً كبيراً.

ماري: وما همّني إذا أبحتُ للجان هذا المنزل الذي لا أسمع فيه طول النهار غير مرير الكلام!

بريجت: تعلمين حقّ العلم أنّ ذكرهنّ أو الإفراط في الكلام عليهنّ ليس إلاّ، يمكن أن يكون كافياً لجرّ كافة أشكال الويلات.

ماري: اهرعن إليّ، أيتها الجنيات، وخذن بيدي بعيداً عن هذا المنزل الكئيب! أعدن إليّ الحرية التي فقدتها كلها. ولأكن قادرة على العمل حين يروق لي، وأن أظلّ عاطلة حين يروق لي! أيتها الجنيات، اهرعن إليّ واحملنني بعيداً عن هذا العالم الكئيب. بودي أن أمتطي بصحبتكن صهوة الرياح، لأجري فوق ذروة الموج المتلاطم وأرقص فوق الجبال كلهيب النار.

الأب هارت: أنت لا تدرين ماذا تقولين.

ماري: انتابني السأم، ياأبت، من هذه الألسنة الأربعة. فلسان مفرط في البراعة والحكمة ولسان مفرط في التقوى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والوقار ولسان أكثر مرارة من الموجة، واللسان الأخير يفيض حبالاً لا مبالياً، يفيض بالحب الفاتر وبعبوديتي.

يقودها شون بروين نحو مقعد خشبي على يسار الباب

شون: لا توجّهي إليّ إية ملامة. فغالباً ما أظلّ متيقظاً أتفكّر في أنّ كل شيء يسبّب الألم لهذا الرأس المتألق - ألا كم هو جميل - وتلك الجبهة الواسعة الشاحبة تحت تلبّدات الشعر المزدهر! تعالي هنا واجلسي بقربي! فلقد تقدمت بهم السن كثيراً حتى نسوا أنّهم كانوا يوماً في سنّ الشباب.

ماري: آه! أنت في هذا المنزل إطار الباب، أما أنا، فغصن المرآن البرّي. وبودّي أن أبقى معلّقة على هذا الباب، إن كان ذلك بمستطاع، إلى أن أجتذب السعادة إلى هذا المنزل.

تمضي لتحيطه بذراعيها، لكنّها ترمق الكاهن بنظرة خجلى فتسبل ذراعيها.

الأب هارت: يا ابنتي، خذي بيده. فبالحب وحده يوحّدنا الله وإيّاه، ومع الأسرة التي تقينا من تلك الصحارى النائية عن سلامه، ومن الحرية التي تذهب بالعقل، ومن الضياء المعمي للبصر.

شون: ليت العالم كان ملك يميني كي أهبك إيّاه، لا بمنازله المطمئنة فقط، بل بكل ما في الضياء والحرية من مبهر، إن كنتِ راغبة فيه.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ماري: كنتُ أمسكت بهذا العالم وحطّمته بكلتا يديّ، لأراك تبتسم، فيما هو يتناثر شظايا.

شون: عندئذ سوف أصوغ عالماً من النار والندى لا يتفوّه فيه أحد بمرير الكلام ولا أحد فيه متجهّم أو مفرط في الحكمة. وحيث لا يقوى عجوز أو دميم على إلحاق أي ضير بك. وسوف أعمر عزلة السماء النشوى بمشاعل متوهّجة في سبيل محيّاك.

ماري: لا أريد من مشاعل سوى عينيك.

شون: فيما مضى كانت رقصة ذبابة في شعاع الشمس، أو زفرة خفيفة من ريح الفجر قادرة على أن تملأ قلبك بأحلام لا يعرفها سواك. أما الآن، فقد مزج السرّ الأقدس الذي لا تنفصم عراه، ما بين قلبك المفعم برودة وزهواً، وقلبي المتأجّج. لا بد للشمس والقمر من أن يتواريا ذات يوم ولا بدّ للسماء من أن تطوى كالملف، أما روحك البريئة فسوف تظلّ متحدةً بروحي إلى الأبد.

يُسمع صوت غناء في الغابة

مورتين: هناك صوت غناء . . . ولكن، ليست سوى طفلة. كانت تغني: «أما القلوب المنزوية فتذبل وتموت». إنّها لأغنية غريبة بالنسبة لطفلة. ولكن يا للصوت العذب! أصغوا! أصغوا!

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يتوجّه صوب الباب

ماري: ابق بالقرب مني: فلقد تفوّهت بأشياء رهيبة جداً هذا المساء.

الصوت:

«تهبّ الريح وتندفع من أبواب النهار.
«تهبّ الريح على القلوب المنزوية.
«تذبل القلوب المنزوية وتموت.
«بينما ترقص الجنيات بعيداً.
«تجري أقدامهن البيضاء كاللبن، في حلقات الرقص.
«والريح تضحك في آذانهن وتهمس وتنشد.
«تلك بلاد فيها الشيخوخة جميلة أبداً.
«والحكمة جذلى.
«لكن قصبة من كولاني قالت لي:
«حين تضحك الريح وتهمس وتنشد
«تذبل القلوب المنزوية وتموت».

مورتين: إنّي سعيد وأتمنى أن يكون الجميع كذلك أيضاً.

يدعو الجنيّة الصغيرة للدخول

الطفلة: إني مرهقة من الريح والمياه والأضواء الشاحبة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مورتين: ليس ذلك بغـريب . فـالغـابة باردة في الليل والمرء يضل طريقه بسرعة . لكنك هنا على الرحب والسعة .

الطفلة: أنا هنا على الرحب والسعة . أما حين أغدو مرهقة من هذا المنزل الصغير الدافئ، فأعرف واحداً من هنا سوف يتبعني، سوف يتبعني . . .

مـورتين: أصـغـوا إلى هذا الكلام الغـريـب والغـامض . ألا تشعرين بالبرد؟

الطفلة: سـأبقى لا طيـة هنا بقربك . ذلك أني قطعت مسافة طويلة هذا المساء .

بريجت: ألا كم أنت رائعة .

مورتين: شعرك مبلّل تماماً .

بريجت: قدماك متجمدتان . سوف أدفئهما .

مورتين: لا بد أنك قادمة من بعيد، من بعيد جداً حقاً - فأنا لم أرَ قط وجهك الجميل من قبل . ينبغي أن تكوني متعبة وجائعة . هاك خذي شيئاً من الخبز والنبيذ .

الطفلة: النبـيـذ حـامض . أليس لديك، يا جـدتي، من شيء حلو تقدمينه لي؟

بريجت: لديّ عسل .

تذهب إلى الحجرة المجاورة

مورتين: إنك لساحرة . فالوالدة كانت متعكرة المزاج كثيراً قبل وصولك .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تعود بريجت ومعها العسل، وتسكب شيئاً من اللبن في قصعة

بريجت : لا بد أن تكون من أســـرة غنيّة . لاحظوا يديهـــا البيضاوين وثيابها الجميلة . لقد جئتك بلبن طازج . لكن انتظري قليلاً حتى أضعه على النار . ذلك أنّ ما يكفينا، نحن الناس المساكين، لا يلائم طفلة عـريقـة النسب مثلك .

الطفلة : منذ ساعة قيامك بإشعال النار عند الفجر، يا جدتي، وأنت تؤذين أصابعك بالعمل . فبوسع الشباب أن يتأخروا في السرير ليحلموا ويأملوا أما أنت، فعليك إيذاء أصابعك بالعمل : إنّ قلبك لمسنّ جداً .

بريجت : الشبيبة عاطلة .

الطفلة : ذكرياتكَ جعلتكَ حكيماً، يا جدّي . فالشباب يلاحقون الأوهام وهم يتنّهدون، أما أنت، فرجل حكيم . إنّ قلبك لمسنّ جداً .

بريجت تعطيها مجدداً خبزاً وعسلاً

مورتين : هل من يعتقد أن طفلة صغيرة جداً تحبّ الناس المسنّين والحكمة!

الطفلة : حسبي، يا جدتي .

مورتين : أيّة لقمة صغيرة تلك! الآن أضحى اللبن جاهزاً . (يقدمه لها) . أيّة جرعة صغيرة تلك!

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الطفلة : أعينيني على وضع حذائي، يا جدتي. بودّي الآن أن أرقص، بعد أن أكلت. فالقصب يرقص على ضفاف بحيرة كولاني. بودّي أن أظل أرقص، إلى أن تغفو الأمواج البيضاء والقصب، وقد هدهدها رقصها. **(بريجت تضع لها حذاءها، وتهمّ الطفلة بالرقص، لكنّ بصرها يقع بغتة على الصليب فتطلق صرخة حادّة وتحجب عينيها)**. ما هذا الشيء المروّع فوق الصليب الأسود؟

الأب هارت : أنت لا تدين كم هو طالح ما تتلفّظين به! فذاك هو سيدنا الحبيب.

الطفلة : أخفوه!

بريجت : ها إنّ خوفي يعود إليّ!

الطفلة : أخفوه!

مورتين : سيكون ذلك الفعل شرّاً!

بريجت : سيكون تدنيساً للمقدسات!

الطفلة : صورة التعذيب تلك! أخفوها!

مورتين : إنّما المذنبون أهلها.

الأب هارت : تلك هي صورة ابن الله.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الطفلة (وهي تلاطفه) **:** أخفوه، أخفوه.

مورتين: كلا، كلا.

الأب هـارت: أنت صغيرة جداً. بل أنت أشبه بطائر يفزعه أدنى حفيف للأوراق. سوف أرفعه.

الطفلة: أخفوه حتى لا يراه أحد ولا يتفكّر فيه من بعد!

ينزع الأب هارت الصليب عن الجدار ويحمله إلي الحجرة المجاورة.

الأب هـارت: ما دمت هنا في منطقتنا فسوف أرشدك إلى إيماننا القويم. فأنت ذات فكر نشيط وسوف تتعلّمين على أحسن صورة. (يقول للآخرين) علينا أن نتعامل بنعومة مع كل ما يزال برعماً. فخالقنا لم يشأ أن تسبّب صورة الآلام أي تشوّش في نجوم الصباح وهي في مطلع إنشادها.

يضع الصليب في الحجرة المجاورة

الطفلة: الأرض هنا مستوية تماماً. سوف أرقص. (تغنّي)

«تهبّ الريح وتندفع من أبواب النهار.
«تهبّ الريح على القلوب المنزوية.
«تذبل القلوب المنزوية وتموت.

(ترقص)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ماري (تقول لشون) : لقد اقتربَتْ مني قبل قليل فحسبت أنّي أسمع أيضاً وقع أقدام أخرى تضرب الأرض بإيقاع. وسمعت أيضاً ما يشبه الموسيقى وسط الريح : هناك شبّابات غير مرئية تصاحب رقصها.

شون : أنا لم أسمع من شيء غير وقع أقدامها.

ماري : أمّا أنا، فأسمعها الآن تماما. إنّ أرواح الجحيم ترقص داخل المنزل.

مورتين : اقتربي، فأن تعديني بألاّ تقولي سوءاً بحقّ الأشياء المقدسة أُعطك شيئاً ما.

الطفلة : أعطني، يا جدي.

مورتين : إنّها شرائط اشتريتها من المدنية لزوجة ابني؛ لكنها تقبل عن طيب خاطر أن أعطيك أيّاها لتعقدي بها شعرك هذا الذي بعثرته الريح.

الطفلة : هيّا، قل لي، هل تحبني؟

مورتين: أحبّك بكل تأكيد.

الطفلة : آه! غير أنّك تحب أيضاً زاوية النار هذه. هل تجبني؟

الأب هارت : حين يودع الرب، تجلّت قدرته، شيئاً كثيراً من فتوّته الأزلية في إحدى مخلوقاته، فلا يسعنا أن ننظر إليها دون حب.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الطفلة : إلا أنك تحبه، «هو»؟

بريجت : إنّها تجدّف .

الطفلة : وأنت، هل تحبيني أيضاً؟

ماري : لست أَدري .

الطفلة : هذا الشاب هو الذي تحبينه . غير أنك تستطيعين معي أن تمتطي صهوة الريح وأن تجري فوق ذروة الموجة الصاخبة أو الرقص على الجبال مثل لهيب النار .

ماري : يا ملكة الملائكة والقديسين الأبرار احمينا . سوف يحصل شيء رهيب . فقبل قليل اختطفَتْ غصن المرآن البرّي .

الأب هارت : إنّما هذرها الغريب هو الذي يفزعكم . وهي لا تعرف أكثر من ذلك . فكم هو عمرك يا ابنتي؟

الطفلة : أثناء نوم الشتاء يغدو شعري أكثر صفاء وقدماي أقلّ ثباتاً . ومع البراعم الأولي، تحملني أمي في ذراعيها الذهبيتين . وعمّا قريب أغدو امرأة فأتزوج من أرواح الغابة والمياه . لكن من عساه يعرف يوم مولدي؟ لا بد أن أكون أكبر سناً من النسر الذي عيناه تومضان، تومضان فوق جبال بالي - غولي . علماً أنه الأطول عمراً بين الكائنات تحت القمر .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأب هارت: إنّها قادمة من بلاد الجان.

الطفلة: انطلق النداء فبعثتُ برسل يأتون باللبن والنار. ثم انطلق النداء مجدداً، فجئت بنفسي.

يظل شون وماري في مكانيهما أما مورتين وبريجت فيتجمّعان وراء الكاهن ليحميهما.

شون (واقفاً): كلهم هناك خاضعون لإرادتك، أما أنا فقاومت سحرك. فلم تنتزعي مني أمنية أو هدية تضعني تحت سلطتك. سوف أطردك من المنزل.

الأب هارت: كلا، بل أنا الذي سأتصدّى لها.

الطفلة: الآن، وقد رفعتم الصليب، غدوت أنا الجبّارة. ولن يستطيع أحد منكم دون إرادتي، أن يمرّ حيث رقصت قدماي، وحيث دارت أصابعي في الهواء.

يسعى شون للاقتراب منها لكن دون جدوى

مورتين: انظروا، انظروا! لكأن شيئاً يوقفه أوأنّ يديه تصطدمان بجدار من زجاج.

الأب هارت: عليّ أنا أن أتصدّى لهذه الروح القادرة. لا تخشوا شيئاً، فالله الأب معكم والقديسون الشهداء والأبرار والمجوس العابدون وعليهم دروع من الزرد. والذي مات ثم قام في اليوم الثالث، والمراتب الملائكية التسع كلها.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(تركع الطفلة على المقعد الخشبي بجانب ماري وتطوقها بذراعيها)

يا ابنتي استعيني بالملائكة والقديسين.

الطفلة: تعالي معي أيتها العروس الصغيرة. وسوف تلقين محفلاً بهيجاً: هناك نْوالا بذراعيها الأبيضين، وأنغوس ومعه طيوره، وفْياكرابالرغوة الوثّابة، وفينْوارا زعيم عصبتهم الخارقة. وسوف تعرفين بصحبتهم الأرض التي يتوق إليها الفؤاد. هنالك الحسن لا يذوي والموت لا يحرز النصر أبداً. هنالك الحكمة فرح. وليس الزمان سوى أنشودة أبدية. سوف أمنحك هذه القبلة، ثم انظري كيف يبدأ العالم بالتلاشي.

شون: اخرجي من هذا الحلم. أغمضي عينيك وسدّي أذنيك.

الأب هارت: كلا، بل ينبغي أن تنظر وتصغي جيداً. فلا يمكن أن ينجيها الآن إلا اختيار بكامل روحها. تعالي إليّ يا ابنتي وظلي بقربي. فكري في هذا المنزل وما عليك من واجبات حياله.

الطفلة: حسبك وتعالي معي، أيتها العروس الصغيرة. فإن أصغيت إليه كان مصيرك مصير النساء الأخريات: تحملين بأطفال، وتعدّين الطعام وينحني ظهرك وأنت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تمخضين اللبن وتجادلين بشأن أسعار الزبدة والدواجن والبيض. وأخيراً تشيخين والمرارة تملأ نفسك وتقعدين تنتظرين قدوم الموت وأنت منطوية على نفسك والرعدة تهزّ أوصالك.

الأب هارت: يا ابنتي، إنّما أدلُّك على درب السماء.

الطفلة: أما أنا، أيتها العروس الصغيرة، فسوف أقودك إلى بلاد ليس من أحد فيها عجوزاً أو ماكراً أو حكيماً، حيث لا يصير المرء عجوزاً أو تقياً أو مهيباً، وحيث لا يصير أحد عجوزاً أو مرير الكلام. بلاد ليس الكلام العذب فيها استعباداً: فنحن لا نخضع لشيء إلاّ لأفكارنا العابرة.

الأب هارت: أستحلفك باسم المصلوب، يا ماري بروين، أن تُقْبلي صوبي.

الطفلة: أما أنا، فباسم قلبك أحتفظ بك.

الأب هارت: لقد أبعدت الصليب، لذا لم يبق من شيء لديّ، لم تبق لي أيّة سلطة. سأمضي لإحضاره.

مورتين (متشبّثاً به)**:** كلا.

بريجت: لا تتخلّ عنّا.

الأب هارت: دعوني أمضي قبل فوات الأوان. فخطيئتي وحدها تسبّبت في كل شيء.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يُسْمَعُ غناء خارجاً.

الطفلة : أسمعهم وهم يغنون: «تعالي أيتها العروس الصغيرة، تعالي صوب الغابات والمياه والضياء الباهتة».

ماري : أريد أن أتبعك.

الأب هارت : لقد ضاعت، يا للأسف.

الطفلة (واقفة قرب الباب) **:** وعليك أن تخلّفي الأمل الأنساني العنيد وراءك: فنحن الذين نعلو صهوات الرياح، ونعدو فوق الأمواج ونرقص فوق الجبال، أخفّ وزناً من قطرات الندى على بيارق الفجر.

ماري : آه، احمليني معك.

شون : أيتها الحبيبة، أريد أن أحتفظ بك. فلديّ ما هو أفضل من الكلام، لدي ذراعان تمسكان بك. وعبثاً تحاول عصبة الجان كلها، فلن أدعك تفلتين من بين ذراعيّ.

ماري : هذا الوجه الحبيب - هذا الصوت الحبيب.

الطفلة : تعالي، أيتها العروس الصغيرة.

ماري : أحببت بلاده على الدوام - ومع ذلك - ومع ذلك.

الطفلة : أيها الطائر الأبيض، أيها الطائر الأبيض، تعال معي، أيها الطائر الصغير.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ماري: إنها تناديني.

الطفلة: تعال معي، أيها الطائر الصغير.

تُشاهدُ في الغابة بعيداً، ظلال وهي ترقص

ماري: أسمع أغاني ورقصات.

شون: ظلّي معي.

ماري: أعتقد أنّي أودّ البقاء.. ومع ذلك... ومع ذلك...

الطفلة: تعال، أيها الطائر الصغير، ذو العرف الذهبي!

ماري (بهدوء شديد): ومع ذلك...

الطفلة: تعال، أيها الطائر الصغير ذو القدمين الفّضيّتين!

ماري بروين تموت والطفلة تمضي

شون: لقد ماتت.

بريجت: أشح بوجهك عن تلك الصورة. لقد مضت جسداً وروحاً. إنّما أنت تضمّ بين ذراعيك كومة من الأوراق الميتة أو جذع مرآنة اتخذت صورتها.

الأب هارت: وعلى هذا النحو تأتي الأرواح الشريرة لتلتقط فريستها من يد الله تقريباً. أما سلطتهم فتغدو كل يوم أكبر، والناس يتخلّون عن الدروب القديمة حينما يقبل الخيلاء ليطرق باب قلبهم بأصابعه الناحلة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تشاهد ظلال وهي ترقص خارجاً وشيء يشبه طائراً أبيض. وتسمع أصوات وهي تنشد.

تهبُّ الريح وتندفع من أبواب النهار
تهبُّ الريح على القلوب المنزوية
والقلوب المنزوية تذبل وتموت
بينما ترقص الجنيات بعيداً
تجري أقدامهن، البيضاء كاللبن، في حلقات الرقص
والريح تضحك في آذانهن وتهمس وتنشد
تلك بلاد فيها الشيخوخة جميلة أبداً
والحكمة جذلى
لكن قصبة من كولاني قالت لي:
حين تضحك الريح وتهمس وتنشد
تذبل القلوب المنزوية وتموت.

***

ستـار